يقول اذ هو بحر لا ساحل له وكان لسان الدين رحمه الله موئل الفضلاء ماجدا قد اهله وقصد بابه
وامله سواء كان من اوداءه او اعداءه وقد ذكر الوزير الرئيس الكاتب ابو يحيى بن عاصم رحمه
الله عند ذكره ذلك حكاية في اثناء كلام رائق اي اذكر جملة لما اشتمل عليه من الغرائب ومولده فكر
في ترجمة شيوخ الحضرة من ملوك بني نصر من كتابه المسمى بالروض الاريض في اثر السلطان الذي كان
ابن الخطيب وزيره وهو السلطان ابو الحجاج يوسف بن اسماعيل بن فرج بن نصر الخزرجي فقد
كلام ما صورته فجرى عليه التمحيص الذي رحم عن وصفه الى الدار البيضاء بالمخيم وابانة
بني مرين ما اراده من التمكنة والتحيز بمنتزه الخيرة التي وقف شيوخنا على حقيقتها واتبعوا اوضح
طريقها وبلغتنا منقولة بالصفة عنهم مجملا عنها في عرف الخطاطب بالعادة فلم يكن الوزير
الكبير الرئيس المجهول جريان من الاستقامة على قانون ولا تجرد ان من الصواب على اسلوب الا
بالجملة فقد على ما رسم من القواعد والطائفة لما نبت من العوائد وكان ذوو الفضل من هذه الطبقة
واولو المعرفة من اربابا بصناعة الملك السياسية يتعجبون من صحة اختياله لما رسم وجودة تمييزه لما
يحاولون المتصدرة الخروج عنه ضربة لازب وان الاستمرار على ... والكر واجبا فيقصرونها بالانتزاع
كما تنجلي الفصوص ويتوفونها بالاقامة كما تتوفى الفرائض وسواء تبادر بهم محظا منا فيهم او
خفي عنهم وجد ربهم محله **حدثني** شيخنا ابو العباس احمد ابن القاسم الحسني ان
الرئيس ابا عبد الله بن زمرك دخل على الشيخ ذي الوزارتين ابي عبد الله بن الخطيب يعطاه في جملة مسائل
مما يتوقف على اذن الوزير وكان معظما فيما يرجع الى مصلحة الرئيس ابي عبد الله بن زمرك قال
فتمم بها ما حظ منها ... تضمنت نقض عادة مستمرة فقال له ذو الوزارتين بن
الخطيب لا والله يا ابا عبد الله لا اذن في هذا الانسان استيفقه ... الولد لا يجيء العوائد
ثم قال صاحب الروض فلما اذن الله للدولة بالانقراض واستحكم الوهن بتمكن الاسباب
عدل عن تلك العوائد الحسنة واستخف بتلك القوانين الثابتة فتقلص من الجناب ما اتخذ ...
ونعود ... وشفعهم واستنكر منه حتى لم يكن نفعهم وتعذر جميع الوزارات التي يرجى نفعهم وكان فيه
مجيبه من العجوم ما انسى احواله واتى ... الله احواله واعماله وكان يجب ... من الصيانة
واضح ... ثم حجبه من ... الاحتجاج لا يعارضه الى نيل الغاية ...
حصوله وذلك مقتضى الارادة الحكمية من هدم وعمر واصوله انتهى كلام ابن عاصم وانا جمله ...
جابا لبرهان بلمح ... من احوال ... ابن الخطيب الذي **فنقول**
هو الامام العلامة الوزير الاسعد الكاتب الجليل البليغ الخطيب الجامع الكامل القاضي المطلق
النظار الحجة خاتمة رؤساء الاندلس بالاستحقاق ومالك ... البراعة بلا اتفاق ابو يحيى محمد
ابن محمد بن محمد بن محمد بن عاصم القيسي الاندلسي الغرناطي قاضي الجماعة بها رحمه الله تعالى
من اكابر فقهائها وعلمائها ورؤسائها اخذ عن الامام المحقق ابي سعيد بن لب ... والامام الفاضل
ابي القاسم بن سراج والشيخ الراوية ابي عبد الله المنتوري والامام ابي عبد الله البياني وغيرهم
ومن تواليفه شرح تحفة والده ... ولي القضاء سنة ثمان وثلاثين وثمانمائة
ومنها كتاب جنة الرضا في التسليم لما قدر الله وقضى وكتاب الروض الاريض في تراجم ذوي

السيوف

التعريف بابي يحيى ابن عاصم شارح التحفة

السيوف والاقلام والقريض ... وكان ... المطلقة لسان الدين بن الخطيب ولم يجري في ذلك مجرى
الطبقة الكلام في ترجمته من كتابه ازهار الرياض في اخبار عياض وهذا بيتنا مما يحصل به للنفس
ارتياح وللعقل ارتياض ووصفه ابن فرج الحصيني بانه الاستاذ العلامة المصور المفتي الفارض
ذو نسب الكتابة ومعدن الفصاحة ومنبع الادب انتهى وقد تقدم بعض كلامه فيما مر
ومن بديع نثره الذي يسلك به نهج ابن الخطيب رحمه الله قوله من كلام حلية جملة في
ازهار الرياض واقتصرت منها على قوله بعد الحمدلة والتصلية ما صورته **اما بعد** حمد الله
على كل شيء ... وانه بعباده لخبير بصير وهو لمن امل نيله واخلص طويته نعم
المولى ونعم النصير بيده الرفع والخفض والبسط والقبض والرشد والغي والنفع والضر
والمنع والمنح والحظ والنفع والبقاء والحق والرزق والاجل والمسرة والمضرة
والاصدار والايراد والادراك والفوت والحياة والموت فاذا قضى امرا انما يقول له كن
فيكون وهو الفعال على الحقيقة وتعالى الله عما يقول الافكون وهو الكفيل بان يظهر دينه
على الدين كله ولو كره المشركون وان في احوال الوقت الراهنة لذكرى لمن كان له قلب او القى
السمع وهو شهيد وعبرة لمن تعتبر فقوله تعالى ان الله يفعل ما يشاء وان الله يحكم ما يريد
بينما الاوطان عامرة والدولة زاهرة والسنة مجموعة والدعوة مسموعة والامة مطاعة
والاجوبة سمعا وطاعة واذا بالفتنة قد كشرت والرزية قد خرجت اذا قال والمخبر من
اتخذ بعذره والازيد الموصى بعمره الاخبار اجمعنا الله ممن خص بحزبه وبينما البغية حاصلة
والقطيعة حاصلة والمضرة واصلة والحبل في اتصال والوطن في شتات والخلاف يقع
رعي متفرقات والقلوب شتى من هول الشتات والداعية يتمنى لفض الوحشة وفضه
وبلحقهم بحث الخطايب على معضه والاخذ بكظمه ويتوقع الحسم لكن باذن الله يجمع شمله ونظمه
على ابعد الشيطان ورغمه واذا بالقلوب قد ائتلفت والمتنافرة قد اجتمعت بعدما اختلفت
والاهواء بالالفة قد اقترنت الى الله وازدلفت والمنقضة الى الله قد انحلت باصلاح العلانية
التي سبقت فالفتنة الهوجاء اوزارها واخذت البيعة الفاتحة من ارها وجلت الالفة الدينية
انوارها و... الحقيقة التي عقبة اثارها ورجعت الحقيقة القاسية اخبارها ... ازمانها
وارضت الخلافة العلانية انظارها وغضت العقبة المتعرضة ابصارها واصلح الله اسرارها
فجمعت الامكان بالطاعة والزمت فصيحة الدين بالفضل الاستطاعة وقطعت ... الى لزوم
السنة والجماعة والفت الى الامامة العلانية بالتسليم والطاعة فتقبلت ... واجرت
عباراتهم واسعدت امالهم وارتضيت اعمالهم وكملت مطالبهم وتممت مآربهم وقضيت
حاجاتهم واستمعت مناجاتهم والسنتهم بالدعاء قد انطلقت ووجهتهم في الخلوص قد
صدقت وقلوبهم على جمع الكلمة قد اتفقت والسنتهم منيرة الامامة العلانية قد انطلقت وكانت
لا والله الا الموقف على عدو الدين قد طهرت ... اذ ان قال وكعب القوة القاصمة والعزة
الباهرة من عدوان الطاغية غوائل بلاغ ... الله للوعود بظهوره على الدين كله ...
واوابل ومعلوم بالضرورة ان الله تعالى ... حسبما اشتهر بذلك زمان الوجود والقيوا

Copyright © King Saud University